

المجاهر بالحق

أبو ذر الضفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

■ بقلم الدكتور حكمت فريجات

عن أبي حرب بن أبي الأسود رضي الله عنه قال: سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما أقلت الفبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبي ذر" (رواه الإمام أحمد) وعن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله أمرني بحب أريمة وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يا رسول الله سمعهم لنا قال: علي منهم يقول ذلك ثلاثاً وأبو ذر والمقداد وسلمان، أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم" (رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك).

♦ النسب والنشأة:

عماية الصبح على ظهر فرسه أو على قدميه كأنه السبع فيطرق الحي ويأخذ ما يأخذ.

هو أبو ذر، جندب بن جنادة الففاري صحابي جليل رضي الله عنه، عرف بمجاهرته بالحق وصدقه، وهو الأمر الذي عرضه لكثير من الأذى من قبل المشركين، كما كان شجاعاً مقداماً، كان قبل الإسلام ينفرد وحده ويقطع الطريق ويغير على الناس في

ومع هذا كان أبو ذر ممن تأله في الجاهلية والتأله التَّسْكُ والتَّعْبُدُ والتَّأْلِيَةُ التَّعْبِيدُ، وكان يقول: لا إله إلا الله ولا يعبد الأصنام، قال أبو ذر: أخذ أبو بكر بيدي فقال: يا أبا ذر فقلت: لبيك يا أبا بكر

الإله الواحد، رافضاً عبادة الأصنام، حتى قال: إنه كان يصلي لله ولا نتوقع أن صلاته كانت كما هي صلاة المسلمين الحالية، ولا كان يتجه في صلاته إلى إحدى القبلتين، وعرف أبو ذر بصدقه وشجاعته، قال عنه الرسول الكريم ﷺ: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر»، وهو رضي الله عنه أحد السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ للإسلام، فَكَانَ خَامِسَ خَمْسَةِ فِي الْإِسْلَامِ، وهذا يعني أنه أسلم في الأيام الأولى للإسلام حين كانت الدعوة سرا، خوفاً من بطش المشركين وأذاهم، إلا أنه أصر على المجاهرة بإسلامه رغم ما لحقه من أذى المشركين.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَدَّهُ إِلَى بِلَادِ قَوْمِهِ، فَأَقَامَ بِهَا بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِذَلِكَ، فَلَمَّا أَنَّ هَاجَرَ النَّبِيِّ ﷺ هَاجَرَ إِلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَا زَمَهُ، وَجَاهَدَ مَعَهُ، وَكَانَ يُفْتِي فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَكَانَ رَأْساً فِي الزُّهْدِ، وَالصَّدَقِ، وَالْعِلْمِ، وَالْعَمَلِ، قَوْلًا بِالْحَقِّ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، عَلَى حِدَّةٍ فِيهِ، وَقَدْ شَهِدَ فَتَحَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

◆ اسلام أبي ذر رضي الله عنه

كانت قصة إسلامه رضي الله عنه تتم عن

فقال: هل كنت تأله في جاهليتك قلت: نعم لقد رأيته أقوم عند الشمس -أي عند شروقها- فلا أزال مصلياً -أي لله- حتى يؤذيني حرّها فأخّر كأني خفاء ففقال لي: فأين كنت توجه قلت: لا أدري إلا حيث وجهني الله، حتى أدخل الله علي الإسلام .

وكان رضي الله عنه أحد الرجال الذين أحبهم رسول الله ﷺ حيث قال عنه: «رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث يوم القيامة وحده».

ولد رضي الله عنه بقبيلة غفار وهي إحدى القبائل العربية المضرية بين مكة والمدينة، اشتهرت بالإغارة على القوافل وقطع الطريق، فهي قبيلة لها باع طويل في قطع الطريق، فاهلها مضرب الأمثال في السطو غير المشروع، أنهم حلفاء الليل، والويل لمن يقع في أيدي أحد من غفار، ولكن شاء المولى أن ينير لهذه القبيلة دربها بدأ من أبي ذر رضي الله عنه، وكانت مساكن القبيلة على طريق القوافل التجارية بين مكة والشام، والدته هي رملة بنت الوقيعة من غفار أيضاً.

قبل أن يعلن أبو ذر الغفاري إسلامه، كان متجهاً بقلبه لله فكان معتقداً بوجود

بحبهم وأخبرني أنه يحبهم».

فَقَالَ أَبُو جَمْرَةَ: قَالَ لَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِإِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: بَلَّغَنِي أَنَّ رَجُلًا بِمَكَّةَ قَدْ زَعَمَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي أَنِيسًا لِيُكَلِّمَهُ، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَكَلِّمَهُ، وانطلق أنيس حتى قدم مكة، وسمع من قوله ﷺ، ثم رجع إلى أبي ذر، وقال له: رأيته يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويأمر بمكارم الأخلاق، وسمعت منه كلاماً ما هو بالشعر! ما أثار حفيظة أبي ذر قال: قُلْتُ: لَمْ تَشْفِنِي؟ فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصَا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ مُسْتَكْرًا، أَسْمَعُ إِلَى أَخْبَارِ أَهْلِهَا وَالِدِينَ الْجَدِيدِ، فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَأَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، فَمَرُّ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ، فَدَخَلْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ وَكَانَ جَالِسًا، فَاقْتَرَبْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ: نَعِمْتَ صَبَاحاً يَا أَخَا الْعَرَبِ، فَأَجَابَ الرَّسُولُ ﷺ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَخَاهُ» قَالَ أَبُو ذَرٍّ: قُلْتُ: أُنْشِدْنِي مِمَّا تَقُولُ، فَأَجَابَ الرَّسُولُ ﷺ: «مَا هُوَ بِشِعْرٍ فَأُنْشِدُكَ، وَلَكِنَّهُ قُرْآنُ كَرِيمٍ» قَالَ أَبُو ذَرٍّ: اقْرَأْ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَصْفِي، وَلَمْ يَمُضْ غَيْرُ وَقْتٍ قَلِيلٍ حَتَّى هَتَفَ أَبُو ذَرٍّ:

حَقِيقَةُ شَخْصِيَّتِهِ الَّتِي تَتَّصِفُ بِالْقُوَّةِ وَشِدَّةِ الْبَاسِ وَالشَّجَاعَةِ، وَرَغْبَتِهِ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِيقَةِ مَهْمَا لَحِقَهُ مِنْ عَنَاءٍ وَعَنْتٍ، وَقَدْ وَصَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصِفَتَيْنِ حَمِيدَتَيْنِ إِنْ تَصَقَّقْنَا بِهِ حَتَّى وَفَاتِهِ، وَهُمَا الصَّدَقُ وَالتَّوْحِدُ وَالْإِنْفِرَادُ، وَقَدْ دَفَعَهُ صَدَقَهُ إِلَى الْمَجَاهِرَةِ بِالْحَقِّ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْمَجَاهِرَةُ مِنْ جِهَةٍ وَاعْتِقَادُهُ الْمُسَبِّقُ بِعِبَادَةِ إِلَهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ وَرَفْضُهُ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، الَّتِي كَانَتْ مُمْتَشِرَةً بَيْنَ عَرَبِ الْجَزِيرَةِ، دَافِعًا لَهُ عِنْدَمَا تَنَاهَى إِلَى مَسَامِعِهِ ظُهُورُ نَبِيِّ يَدْعُو لِعِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ لِلسَّعْيِ إِلَيْهِ، وَأَشْهَرُ إِسْلَامِهِ عِلَانِيَةً فِي الْمَسْجِدِ، مِمَّا دَفَعَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ لِلْإِعْتِدَاءِ عَلَيْهِ، فَانْهَالُوا عَلَيْهِ بِالضَرْبِ الْمُبْرَحِ حَتَّى كَادَ يَهْلِكُ دُونَ أَنْ يَجِبْنَ أَوْ يَتَرَاوَعْنَ عَنْ إِسْلَامِهِ، بَلْ أَمَعْنَ فِي الْمَجَاهِرَةِ بِإِسْلَامِهِ، فَكَانَ مِنَ الْقَتْلَانِ الَّذِينَ أَشْهَرُوا إِسْلَامَهُمْ فِي وَسْطِ قُرَيْشٍ، مِمَّا جَعَلَ الرَّسُولَ ﷺ يَقْرِبُهُ إِلَيْهِ وَيُكَلِّفُهُ بِالْعَوْدَةِ إِلَى قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ.

وَيَصْرَحُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِعَهُمْ لَنَا قَالَ: «عَلَيَّ مِنْهُمْ يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثًا وَأَبُو ذَرٍّ وَالْمُقَدِّدُ وَاسْلَمَانُ أَمَرَنِي

مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ، فَهَذَا أَوَّلُ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

◆ داعية متفان في سبيل الإسلام:

تركت هذه الحادثة أثراً سلبياً على نفسية أبي ذر، وعاهد نفسه أن يثار من قريش، فخرج وأقام في "عسفان"، وكلما أقبلت غير لقريش يحملون الطعام، يعترضهم ويجبرهم على إلقاء أحمالهم، فيقول أبو ذر رضي الله عنه لهم: لا يمس أحد حبة حتى تقولوا: لا إله إلا الله، فيقولون: لا إله إلا الله، ويأخذون ما لهم.

وحين رجع أبو ذر إلى قومه، نفذ وصية رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الله عز وجل، ونبذ عبادة الأصنام والإيمان برسالة محمد ﷺ، فكان أول من أسلم منهم أخوه أنيس، ثم أسلمت أمهما، ثم أسلم بعد ذلك نصف قبيلة غفار، وقال نصفهم الباقي: إذا قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، أسلمنا، ثم توجه إلى قبيلة أسلم فبرشدها إلى الحق فتسلم، فمضت الأيام وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، وإذا بموكب كبير يقبل على المدينة مكبرا، فإذا هو أبو ذر رضي الله عنه، أقبل ومعه قبيلتا غفار وأسلم، فازداد الرسول ﷺ عجباً ودهشة، فجاءت إليه قبيلة أسلم فقالوا: يا رسول الله:

وسأله النبي ﷺ: ممن أنت يا أخا العرب فأجابه أبو ذر: من غفار، وتألقت ابتسامة واسعة على فم الرسول ﷺ، واكتسى وجهه بالدهشة والعجب، وضحك أبو ذر فهو يعرف سر العجب في وجه الرسول الكريم ﷺ، فهو من قبيلة غفار المعروفة بظلمها وامتهانها قطع الطريق، أيجيء منهم اليوم من يسلم، وقال الرسول ﷺ: «إن الله يهدي من يشاء».

أسلم أبو ذر من فوره، وكان ترتيبه في المسلمين الخامس أو السادس، فقد أسلم في الساعات الأولى للإسلام، فقال له الرسول ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَكُنْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ، وَارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا، فَأَقْبِلْ، فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَقَامُوا، فَضَرَبْتُ لَأَمُوتَ! فَأَذْرَكَنِي الْمُبَاسُ، فَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ: وَيْلَكُمْ! تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ، وَمَتَجَرَّكُمْ وَمَمَرَّكُمْ عَلَى غِفَارٍ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، رَجَعْتُ، فَقُلْتُ

في دينهم، ويعلمهم أحكام الإسلام، وهذا جهاد يحتاج إلى عزيمة وحكمة ودراية ونفس طويل.

وليس من الوارد في ذهن من يعرف أبا ذر رضي الله عنه، أن يعتقد بتخلفه عن هذه الفزوات الثلاث بمحض إرادته واختياره، بل من المؤكد أن تخلفه عنها وبقاءه في قومه إنما كان بإيعاز من الرسول الكريم ﷺ والجهاد بالسيف مقرون مع الجهاد في اللسان، بتعليم الناس أحكام دينهم، وتفقيهم بها بعد تعلمها من رسول الله ﷺ، فكل منهما يوازي الآخر في جميل الأثر عند الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة: ٤٧، وقد أقام على صحبة رسول الله ﷺ يتفقه عنه ويأخذ عنه العلم والمعارف والحكمة.

وقد حظي من رسول الله ﷺ بالاهتمام الكبير، والعناية الخاصة فقد كان رسول الله ﷺ يبتدئه بالسؤال والكلام إذا حضر، ويسأل عنه إذا غاب، وكان حَامِلَ رَايَةِ غِفَارَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، ومن التأييدات الإلهية والألطف الرِّيَانِيَّة: الرواية التالية التي

إخوتنا، نسلم على الذي أسلموا عليه، فأسلموا.

وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: "غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله، ومما يلفت له، أن أبا ذر رضي الله عنه كان من المبادرين الأوائل لاعتناق الإسلام، حتى قيل: إنه رابع من أسلم، وقيل: خامسهم، وبقي أبو ذر بين قومه فترة طويلة، لم يحضر في خلالها غزوة بدر ولا أحد ولا الخندق، كما تقول الروايات، وبقي بينهم في الخندق الآخر من الجهاد، حيث كان يفقههم في دينهم، ويعلمهم أحكام الإسلام.

◆ جهاده رضي الله عنه في سبيل الله :

أثر النبي ﷺ إيفاد أبي ذر رضي الله عنه إلى قومه بني غفار، على بقائه معه، لثقته العالية بأنه سينجح في نشر الإسلام بينهم، وهذا ما حصل، فقد نجح أبو ذر رضي الله عنه في ذلك، فقد أسلم نصف قومه على يده، وأسلم النصف الباقي عند مجيء النبي ﷺ إلى المدينة كما أسلفنا.

وبقي أبو ذر بينهم فترة طويلة، لم يحضر في خلالها غزوات بدر ولا أحد، ولا الخندق (كما تقول الروايات) بقي بينهم في خندق الجهاد الآخر، حيث كان يفقههم

اسم أبى ذر؟ قال: نعم، والذي بعثك بالحق إن أبى ذر أعرف فى السماء منه فى الأرض، وإن ذلك بدعاء يدعو به فى كل يوم مرتين وتمجيب الملائكة منه فادع به واسأله عن دعائه، فقال رسول الله ﷺ: يا أبى ذر دعاء تدعو به فى كل يوم مرتين؟ قال: نعم فذاك أبى وأمى ما سمعته من بشر وإنما هى عشرة أحرف ألهمنى ربى إياها إلهاما وأنا أدعو به فى كل يوم مرتين أستقبل القبلة فأسبح الله مليا وأحمده مليا، وأكبره مليا ثم أدعو بتلك العشر كلمات: "اللهم انى أسألك إيمانا دائما، وأسألك قلبا خاشعا، وأسألك علما نافعا، وأسألك يقينا صادقا، وأسألك دينا قيما، وأسألك العافية فى كل بلية، وأسألك تمام العافية، وأسألك دوام العافية، وأسألك الشكر على العافية، وأسألك الفنى عن الناس".

قال جبريل عليه السلام: يا محمد والذي بعثك بالحق لا يدعو أحد من أمتك بهذا الدعاء إلا غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر أو عدد تراب الأرض، ولا يلقي الله أحد من أمتك وفى قلبه هذا الدعاء إلا اشتاقت إليه الجنان، واستغفر له المكان، وفتحت له أبواب الجنة فنادته الملائكة: يا

يرويهما الفقيه أبو الليث السمرقندي . بأسانيده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: لما خرج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك صحبه رجال من المنافقين، وكانوا يتخلفون عنه: الرجل والرجلان فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان فيقول ﷺ: «دعوه، فمن يك فيه خير فسيلحه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، فقالوا: يا رسول الله، تخلف أبو ذر، فقال: «فإن يك فيه خير فسيلحه الله بكم» وكان أبو ذر رضى الله عنه تخلف، لأنه أبطأ بغيره فتلوم بغيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحملة على ظهره، ثم رجع يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيا حاملا على ظهره في شدة الحر وحده، فقالوا: يا رسول الله، أقبل إلينا رجل يمشي وحده، فقال رسول الله ﷺ: ليكن أبى ذر، فلما تأمله الناس قالوا: يا رسول الله، هذا والله أبو ذر، فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال: «رحم الله أبى ذر، يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده».

♦ دعاء أبى ذر الغفاري رضى الله عنه:

عن رسول الله ﷺ أنه أتى جبريل عليه السلام فبينما هو عنده إذ أقبل عليهما أبو ذر الغفارى رضى الله عنه فنظر إليه جبريل عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: يا أمين الله أتعرفون

ولي الله أدخل من أي باب شئت.

♦ فكر أبي ذر رضي الله عنه:

كان أبو ذر رضي الله عنه رمزا للصحابي المثالي الذي يتمسك بدين الله ورسوله ولا يعيد عنه قيد أنملة، رغم كل الضغوطات الاقتصادية والاجتماعية والنفي والمقاطعة، حارب الفساد بغير السيف.. لأنه لم يرغب بإراقة دم المسلم.. ولم يكن رجل حرب.. والغريب تجاهل العديد من المؤرخين العرب لقضيته الإنسانية الاجتماعية والتي تعتبر من الدعوات الأولى في صدر الإسلام.

وأخيراً: كانت افكار أبي ذر رضي الله عنه إسلامية خالصة، وكان القرآن مرجعه الأول يضاف إليه الأحاديث النبوية الشريفة، كان يدعو الناس الى التقشف والإكتفاء بالقليل من المال بحيث يسد رمقه ويقدم لآخرته، وكان ينهاهم عما فوق ذلك ليكنزوه لأنه سيجلب لهم الويلات، فكان يقول: إعملوا المال درهمين، درهمًا تتفقه على عيالك من حله، ودرهما تقدمه لآخرتك، والثالث يضرك ولا ينفعك لا ترد.

كان رضي الله عنه زاهدا في الحياة وكان

مصلحا اجتماعيا لا يفتأ يدعو الناس لعمل الخير والقيام بالعبادات والتقرب إلى الله تعالى، فكان يخطبهم قائلا: أيها الناس إني لكم ناصح واني عليكم شفيق: صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا في الدنيا لحر يوم النشور، وتصدقوا مخافة يوم عسير.

بسبب موقفه الصحيح من بيت المال والفنى الفاحش، ينظر بعض المؤرخين الجدد إليه على انه من أنصار الاشتراكية، والحقيقة أن أبا ذر رضي الله عنه مصلح اجتماعي أراد محاربة السلطة بالطرق السلمية من خلال شرح موقفه المستند إلى القرآن والسنة النبوية، لهذا كان يدعو إلى التقشف وعدم التبذير، وهذا الأمر لم يرق لمعاوية وأهل بيته.

كان أبو ذر رضي الله عنه يمتدح انه لا يجوز لمسلم بأن يكون له في ملكه أكثر من قوت يومه وليلته، مستنداً على الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وكان يخطب في أهل الشام فيقول: يا معشر الأغنياء والفقراء.. بشّر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في

الأموال، وبنت القصور، وعاشت عيشة
الأمراء، كما ظهرت بجانبهم طبقات فقيرة
لا تجد ما تقتات به. وجد أبو ذر رضي الله عنه
فقرا وضيقا في جانب، وقصورا وضياعا
في الجانب الآخر، فصاح بأعلى صوته:
عجبت لمن لا يجد القوت في بيته، كيف لا
يخرج على الناس شاهرا سيفه، ثم ذكر
وصية الرسول صلى الله عليه وسلم، بوضع الأناة مكان
الانقلاب، فيعود إلى منطلق الإقناع
والحجة، ويعلم الناس بأنهم جميعا
سواسية كأسنان المشط، جميعا شركاء
بالرزق، خرج أبو ذر رضي الله عنه إلى معاقل
السلطة والثروة يفزوها بمعارضته السلمية
معتقلاً معتقلاً، وأصبح في أيام معدودات
الراية التي التفت حولها الجماهير
والكادحون، وكان إذا نزل بأرض ردد قول
الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ♦ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا
فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتُكَوَّى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَزُلْهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا
مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ التوبة: ٣٤-٣٥ .

ويستشعر معاوية الخطر، وتفرعه
كلمات الشاعر الجليل، ولكنه يعرف قدره،
فلا يقربه بسوء، ويكتب من فوره للخليفة

سبيل الله بمكاوٍ من نار تكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم .

♦ جهاده رضي الله عنه بلسانه:

لقى الرسول صلى الله عليه وسلم على أبي ذر رضي الله عنه في
يوم سؤالا قال: يا أبا ذر كيف أنت إذا
أدركك أمراء يستأثرون بالفيء؟ فأجاب
قائلا: إذا والذي بعثك بالحق، لأضربن
بسيفي، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: أفلا أدلك
على خير من ذلك، اصبر حتى تلقاني،
وحفظ أبو ذر رضي الله عنه وصية الرسول صلى الله عليه وسلم
الفالية، فأثر على نفسه أن لا يحمل
السيف بوجوه الأمراء الذين يثرون من مال
الامة، وإنما سيحمل في الحق لسانه
البتار.

ومضى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده
عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، في
تفوق كامل على مغريات الحياة وفتنتها
فينتقل الزاهد الورع خليفة وأمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى جوار ربه
ورسوله صلى الله عليه وسلم، تاركاً خلفه فراغاً هائلاً،
ويبايع المسلمون عثمان بن عفان رضي الله عنه،
وتستمر الفتوحات وتتدفق الأموال من
البلاد المفتوحة، فارس والروم ومصر،
وظهرت بين العرب طبقات غنية كنزت

لسمعت وأطعت وصبرت واحتسبت، ورأيت أن ذلك خيرٌ لي". وهكذا أدرك عليه السلام ما تتطوي عليه الفتنة المسلحة من وبال وخطر؛ فتحاشاها.

♦ وفاته عليه السلام:

ظل أبو ذر رضي الله عنه مقيماً في الرَبِذَةِ هو وزوجته وغلّامه حتى مرض مرض الموت فأخذت زوجته تبكي، فقال لها عليه السلام: ما يبكيك؟ فقالت: وما لي لا أبكي وأنت تموت بصحراء من الأرض، وليس عندي ثوب أكفئك فيه، ولا أستطيع وحدي القيام بجهازك، فقال أبو ذر رضي الله عنه: إذا مت، فاغسلاني وكفّناني، وضعاني على الطريق، فأول ركب يمرون بكما فقولا: هذا أبو ذر.

فلما مات عليه السلام فعلا ما أمرهما به، فمرّ بهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مع جماعة من أهل الكوفة، فقال: ما هذا؟ قيل: جنازة أبي ذر، فبكى ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: صدق رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا ذر، يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»، فصلى عليه، ودفنه بنفسه (ابن سعد)، وكان ذلك سنة (٣١هـ) وقيل: سنة (٣٢هـ)، رحمه الله تعالى.

عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويكتب عثمان لأبي ذر رضي الله عنه يستدعيه إلى المدينة، ويجري بينهما حوار طويل ينتهي بأن يقول له أبو ذر رضي الله عنه: "لا حاجة لي في دنياكم"، وطلب أبو ذر رضي الله عنه من عثمان رضي الله عنه أن يسمح له بالخروج إلى "الرَبِذَةِ"، فأذن له.

♦ موقف أبي ذر الففاري رضي الله عنه من

الثورات:

عندما ذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الرَبِذَةِ وجد أميرها غلاماً أسود عيَّنه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولما أقيمت الصلاة، قال الغلام لأبي ذر رضي الله عنه: تقدم يا أبا ذر، وتراجع الغلام إلى الخلف، فقال أبو ذر رضي الله عنه: بل تقدم أنت، فإن رسول الله ﷺ أمرني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً أسود، فتقدم الغلام وصلى أبو ذر رضي الله عنه خلفه، وقد أتى أبا ذر وفدٌ من الكوفة وهو في الرَبِذَةِ، يسألونه أن يرفع راية الثورة ضد عثمان بن عفان رضي الله عنه فزجرهم بكلمات حاسمة قائلاً: "والله لو أن عثمان صلبني على أطول خشبة، أو جبل لسمعت وأطعت وصبرت واحتسبت، ورأيت أن ذلك خيرٌ لي، ولو سيّرني ما بين الأفق إلى الأفق، لسمعت وأطعت وصبرت واحتسبت، ورأيت أن ذلك خيرٌ لي، ولو ردني إلى منزلي